

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ ٢٩/١١/٢٠٢٤ الموافق ٢٧ جمادى الأولى ١٤٤٦ هـ

بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا مَثِيلَ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَكَانَ وَلَا جِهَةَ لَهُ وَلَا خَالِقَ سِوَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقِرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ فِي دَمِّ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا خَالِقَ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا هُوَ وَلِذَا فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ إِنَّ مِنْ أَصُولِ عَقَائِدِ الْإِسْلَامِ اعْتِقَادَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُنَا أَيْ مُخْرِجُنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَخَالِقُ أَعْمَالِنَا أَيْ الَّذِي يُبْرِزُهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ إِمَامِ الصُّوفِيَّةِ

العارفين الجُنَيْدِ البَغْدَادِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ مَرَّةً عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ إِنَّهُ لَا مُكُونَ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَعْمَالِ خَالِقُ لَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى اهـ وَالْأَعْيَانُ إِخْوَةٌ الْإِيمَانِ هِيَ كُلُّ مَا لَهُ حَجْمٌ صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا فَيَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ مَا دَخَلَ فِي الْوُجُودِ مِنَ الْأَعْيَانِ أَيْ الْأَحْجَامِ وَالْأَعْمَالِ مَا كَانَ خَيْرًا وَمَا كَانَ شَرًّا وَجِدَ بِخَلْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^١ أَي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ أَعْمَالَكُمْ فَتَحْنُ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ لَا نَخْلُقُ شَيْئًا لَا ذَوَاتِنَا وَلَا أَعْمَالِنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَأَعْمَالُنَا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَعْمَالِنَا الْإِخْتِيَارِيَّةِ كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالصَّلَاةِ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ الْإِضْطِرَّارِيَّةِ كَالْإِرْتِعَاشِ مِنَ الْبَرْدِ بَلْ كُلُّ ذَلِكَ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢ لَا شَرِيكَ لَهُ^٣ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^٤ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ صَلَاةَ الْعَبْدِ وَنُسُكَهُ أَيُّ مَا يَذْبُحُهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَالْأُضْحِيَّةِ وَمَحْيَاةُ أَيُّ حَيَاتِهِ، وَمَمَاتُهُ مِلْكُ اللَّهِ وَخَلْقُهُ لَهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأَعْمَالِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ كَالصَّلَاةِ وَالتُّسُكِ وَبَيْنَ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْعَبْدُ مِمَّا لَيْسَ بِإِخْتِيَارِهِ كَالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، إِنَّمَا تَتَّمِيزُ الْأَعْمَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ أَيُّ الَّتِي تَقَعُ بِإِخْتِيَارِ الْعِبَادِ وَيَكْتَسِبُهَا النَّاسُ بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي يُحَاسِبُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَيُؤَاخِذُ، فَمَا كَانَ مِنْهَا خَيْرًا يُثَابُ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ شَرًّا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾^٥، أَيُّ مِنَ الْخَيْرِ أَيُّ تَنْتَفِعُ بِذَلِكَ ﴿وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ﴾^٦، أَيُّ وَعَلَيْهَا وَبِأَلْ مَا أَكْتَسَبَتْهُ مِنَ الشَّرِّ أَيُّ تَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ عَلَى ذَلِكَ. وَالْكَسْبُ إِخْوَةٌ الْإِيمَانِ هُوَ تَوْجِيهُ الْعَبْدِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ نَحْوَ الْعَمَلِ فَيَخْلُقُهُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَالْعِبَادُ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ كَاسِبُونَ لِأَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ خَالِقٌ لِلْعِبَادِ وَخَالِقٌ لِأَعْمَالِهِمْ وَخَالِقٌ لِنِيَّاتِهِمْ وَقُصُودِهِمْ لَا خَالِقَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ إِنَّ مَنْ يَعْقِدُ قَلْبَهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ عَلَى الْحَقِيقَةِ

^١ سُورَةُ الصَّافَّاتِ / ٩٦

^٢ سُورَةُ الْأَنْعَامِ / ١٦٢-١٦٣

^٣ سُورَةُ الْبَقَرَةِ / ٢٨٦

^٤ سُورَةُ الْبَقَرَةِ / ٢٨٦

إِلَّا هُوَ وَيُكْثِرُ مِنْ شُهُودِ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ حَتَّى يَصِيرَ مُسْتَشْعِرًا لِذَلِكَ بِقَلْبِهِ دَائِمًا تَهُونَ عَلَيْهِ
 مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَتَهُونَ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ وَيَذْهَبُ عَنْهُ الخَوْفُ مِنَ العِبَادِ عِنْدَ التَّمَسُّكِ بِأَحْكَامِ
 الدِّينِ وَيَصِيرُ مِنْ أَهْلِ اليَقِينِ.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ اليَقِينِ الرَّاسِخِ وَثَبَّتْنَا عَلَى الطَّرِيقِ القَوِيمِ بِجَاهِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
 هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِكُمْ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُودُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا
 وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فلا هَادِيَّ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الوَعْدِ الأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ التَّيِّبِينَ وَالمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللهُ عَنْ أُمَّهَاتِ
 المُؤْمِنِينَ وَعَالِ البَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ
 الأئِمَّةِ المُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللهِ
 فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

Mes bien-aimés, parmi les fondements de la croyance musulmane, il y a la croyance que Dieu est notre créateur, c'est-à-dire qu'Il est Celui Qui nous a fait surgir du néant à l'existence, et qu'Il est le Créateur de nos œuvres, à savoir qu'Il est Celui Qui les fait surgir du néant à l'existence. On rapporte de l'Imam des soufis connaisseurs, *Al-Jounayd Al-Baghdadiyy*, qu'il a été interrogé au sujet du *tawhid* – la croyance en l'unicité de Dieu – et qu'il a répondu : « *Nul ne fait exister quoi que ce soit des substances – 'a'yan – et des actes – 'a'mal – , c'est-à-dire que nul ne les crée, si ce n'est Dieu.* » Mes frères de foi, le terme 'a'yan – substances – désigne tout ce qui occupe un volume d'espace, que ce volume soit grand ou petit. Et le terme 'a'mal – actes – vise les actes de bien et les actes de mal. Tout cela entre en existence par la création de Dieu, tout comme Dieu le dit dans un verset explicite de Son Livre qui signifie : « **Dieu vous a créés ainsi que ce que vous faites.** » C'est-à-dire que Dieu vous crée et qu'Il crée vos actes. Par conséquent, mes bien-aimés, nous ne créons rien du tout, ni nos êtres, ni nos œuvres. Seulement, nos êtres ainsi que nos œuvres n'existent que par la création de Dieu. Et il n'y pas de différence de ce point de vue entre nos actes volontaires, comme le fait de manger, de boire ou d'accomplir la prière,

et les actes involontaires, comme le fait de trembler de froid. Tout cela est créé par Dieu.

Seulement, les actes volontaires, qui ont lieu par la volonté des esclaves et que les gens acquièrent, se distinguent par le fait que les gens seront jugés sur ces actes-là et ce sont les actes sur lesquels ils auront à rendre des comptes. Ils seront donc récompensés pour leurs actes de bien et mériteront le châtement pour leurs actes de mal tout comme Dieu le dit ce qui signifie : « **L'âme aura en sa faveur ce qu'elle aura acquis** [comme bien] » c'est-à-dire que l'âme profitera dans l'au-delà du bien qu'elle aura acquis dans ce bas-monde, « **et contre elle ce qu'elle aura acquis** [comme mal] » c'est-à-dire que l'âme sera chargée des conséquences de ce qu'elle aura acquis comme mal, autrement dit, l'âme méritera un châtement pour cela. *Al-kasb* – l'acquisition –, mes frères de foi, c'est le fait que l'esclave oriente son objectif et sa volonté vers un acte et que Dieu crée cet acte dans ce moment-là. Les esclaves, chers bien-aimés, acquièrent leurs œuvres, alors que Dieu crée les esclaves ainsi que leurs œuvres, leurs intentions et leurs objectifs. Il n'y a pas de créateur sinon Lui, Il n'a pas d'associé.

Mes bien-aimés, quiconque croit fermement par son cœur que Dieu est le Créateur de toute chose, que nul ne fait parvenir une nuisance ou un profit en réalité si ce n'est Dieu – et faites en sorte d'avoir souvent cela à l'esprit jusqu'à le ressentir en permanence dans votre cœur – les difficultés et les catastrophes du bas-monde lui paraîtront plus légères, la peur des créatures le quittera lorsqu'il s'attachera aux piliers de la religion et il fera partie des gens de la certitude.

واعلموا أَنَّ اللَّهَ أَمْرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، أَمْرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٦. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^٧ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾^٧، اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا

^٦ سورة الاحزاب / ٥٦.

^٧ سورة الحج / ٢-١

هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَامِنُ رَوْعَاتِنَا وَاكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا
شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرِيرِيَّ رَحِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَثْبِيحُكُمْ وَاشْكُرُوا يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوا يُغْفِرَ لَكُمْ
وَاتَّقُوا يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.